المحاضرة الخامسة

فنون أدب الطفل: الشعر والأنشودة

أولا- شِعر الأطفال:

1- ماهية شِعر الأطفال:

هو لون من ألوان الأدب "يحقّق السّرور والبهجة والتّسلية والمتعة للأطفال، ويتضمّن الخبرات التربوية المناسبة، وجوانب الطّبيعة التي تتّفق والميول الأدبية للأطفال، والتي تتّصف بالحركة والنّشاط والحيوية ذات الإيقاع الموسيقي"[1] وشرطه أن يكون مناسبا للأطفال، والمحبّذ أن يكون الشّاعر قريبا من بيئة الأطفال عارفا بعلم النّفس، ملمّا بأصول التربية، وله طوْل بالعلوم ذات العلاقة بالشّعر.

إن شعر الأطفال هو الشّعر المنظوم من أجلهم، وينطبق عليه ما ينطبق على الشّعر عامّة من تعريفات ومفاهيم، فهو لا يختلف في ماهيته عن شعر الكبار وفي عناصره البنائية، بيد أن الاختلاف يتجلى على مستوى توظيف هذه العناصر وأساليب التواصل، وفي المواضيع والأهداف والحاجات المرتبطة بطبيعة المتلقي وقدراته العقلية على تفسير الصور الخيالية، وفهم اللغة المجازية وتفكيك الرموز. وأضيف اسم المتلقي (الأطفال) إلى لفظة الشّعر؛ لتمييزه عن الشعر الموجه للكبار.

وعلى ذلك فالشّعر الموجّه للأطفال يلتزم بضوابط فنّية ولغوية، ونفسية وجمالية واجتماعية وتربوية، ويهدف إلى تصوير الحياة بالتّعبير المتميّز، وعرضِ أفكار وأحاسيس وأُخْيُولاَتٍ تتّفق ومَدَارِكَ الناشئة وميولاتهم. ويتناول كل ما يمكن لألوان الأدب الموجّه للأطفال الأخرى أن تتناوله، إلا أنّه يتشكّل في صيغ أدبية متميزة تمكّن الأطفال من خلاله أن يحلّقوا بعيدا في أجواء الفضاء، ولذلك فهو يتطلّب رؤية وخبرة تراعي الاعتبارات السّابقة الذّكر، للتوافق مع خصائص أدب الأطفال وفق المراحل العمرية، بالإضافة إلى التّمرّس النّوعي في فنّ التّعامل مع الأطفال من حيث الأسلوب، والفكر، والسّلوك، وهي اعتبارات شرطية لابدّ أن تجتمع في شخص شاعر الأطفال؛ حتّى يصل بكتاباته إلى الأهداف المرجوّة[2].

---

[1]- نجلاء محمد علي أحمد: أغاني وأناشيد الأطفال، (د، ط) دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،2011، ص:12.

[2]- للتوسع ينظر: عمر يوسف: شعر الأطفال في الجزائر، ص: 24...

2- علاقة الطفل بالشعر:

إنّ الطّفل أنيس الشعر ولصيقه، ويتصل به اتصالا عفويا وفطريا؛ ومردّ ذلك إلى وجود عدة سمات وصفات مشتركة بينهما، كالصّفة الموسيقية، "التي تنطلق من الواقع التّنغيمي والإيقاعي في الجرس الموسيقي، وذلك؛ لأنّ الشّعر يقوم على أساس موسيقي، ويُبنى على هذا الأساس بناء إيقاعيا ونغميا وفق نظام لغوي صوتي موزون، يميّزه عن النّثر، كذلك الطّفل فهو كائن إيقاعي، يميل إلى التّنغيم والأصوات المموسقة في مجمل نشاطه وانفعالاته"[1]. فتراه يستمتع بالجمل المنغمة، ويفتتن بالأسجاع والأوزان، ويكرر كلماتها وجملها دون ملل؛ حتى وإن لم يفهمها.

وتتميّز حاسة الذّوق عند الطفل حينما يطرق جرس الإيقاع أذنيه منذ ولادته، عن طريق الأساليب الفنّية التي تعرف بأغاني المناغاة والهدهدة، وفي مرحلة تالية بأغاني التّرقيص؛ حيث ينصت الطّفل إلى أمّه الّتي تغنّيه بإيقاع رتيب بهدف إبهاجه وتهدئته، وبثّ الطّمأنينة في نفسه، وذرّ النّوم في عينيه. وبذلك يصبح الشّعر الفنّ الأسبق إلى إدراك الطّفل، وطبيعة عملية التّذوّق عنده ؛ وبخاصة في البيئة العربية.

3- خصائص ومعايير شعر الأطفال:

لشعر الأطفال خصائص تميّزه عن سائر الشّعر والنّثر انطلاقا من التّجربة الشعرية نفسها واستنادا إلى المعايير التربوية والنّفسيـة نذكر منها:

- حسن اختيار الوعاء اللّغوي الذي يحمل الشّعر للأطفال، بحيث يعتمد اللّغة العربية الفصحى المبسّطة، والمناسبة لإمكاناتهم وحصيلتهم اللغوية.؛ لتمكينهم من فهم المعاني ووصولها إلى الوجدان وتذوق الجمال فيها.

- أن تكون موسيقى الشّعر خفيفة وسهلة تشوّق الأطفال وتطرب مسامعهم، والقوافي لطيفة سلسـة تدفع إلى الحفظ وسهولة التذكر مع التّنويع فيها، بالاعتماد على البحور الصافية الخفيفة ومجزوءاتها، والابتعاد عن الضّرورات الشعرية؛ واعتماد التصريع في بناء قصيدة الطفل؛ لزيادة تركيز الإيقاع ودعم موسيقى القافية.

- "العناية بالفكرة التي يدور حولها الشّعر، وحسن اختيار الموضوع بحيث يقابل حاجات الأطفال ورغباتهم وميولهم"[2] ويكون قريبا من عالمهم الأسري والبيئي.

---

[1]- فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص:176.

[2]- ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ص:184.

– أن يكون النص الشعري قصيرا، إذ الطّول يتعب الطّفل، فلا يستطيع تتبع التّشعبات والأحداث، والتركيز على قضية واحدة دون إفاضة.

– أن يربط الشّعر الموجه للأطفال بالغناء، ولعلّ ذلك أهمّ ما يقنع الطّفل ويسري إلى وجدانه، ويؤثّر عليه في بساطه؛ لأن الغناء يتحوّل إلى متعة خاصة ويساعد على النّمو المتكامل، والابتهاج بالحياة، والارتباط بكل قيمها ومباهجها.

– الاعتماد على التّكرار: تكرار البداية أو الاستهلال، على مستوى الكلمة بكل أنواعها (حرف، فعل، اسم) لتعميق الدلالات وتوكيد المعاني. ثم تكرار اللازمة وهو تكرار بيت بلفظه بعد كل مقطع، أو في البداية والنهاية؛ لتوكيد الإنشاد والغناء في شعر الأطفال؛ وجعل كل الأطفال يشاركون بترديد هذه اللازمات حين يتشكلون في فرق إنشاديه.

– أن تكون الصّورة الشعرية المستخدمة مناسبة لعالم الطّفولة، بوضوح علاقاتها، والابتعاد بها عن الحشد، ومتاهات التأويل، والدلالة، والغموض، والإبهام.

وبناء على ذلك نستنتج أنّ كتابة الشّعر الموجّه للأطفال ليست سهلة، وهذا الأخير من أصعب فروع الشّعر؛ لكثرة شروطه، الأمر الذي قلّل من عدد الشعراء الذين يكتبون للطفولة مقارنة بكتّاب القصّة والمسرحية على المستوى العالمي والعربي، وكثير منهم في الأصل متحوّلون من الكتابة للكبار إلى الكتابة للصّغار، بعد تجربة طويلة ورغم الإيجابيات في ذلك "فإنّ أولئك الأدباء لا يتحرّرون من عالم الكبار فيما يكتبون، فتأتي مؤلّفاتهم حول ما يهتمّ به الطّفل، دون الولوج في عالمهم الخاص"[1] فيستخدمون المجاز المفرط والخيال المجنح، والرموز الصعبة دون أن يدركوا خطورة توظيف ذلك للأطفال، كما لو كانوا يخاطبون رجالا أو أدباء أو راشدين، فضلا عن المثالية المفرط فيها، حيث يصوّرون للطّفل الجمال في كلّ شيء، ويبتعدون به عن الواقع.

4– أهداف شعر الأطفال:

تتبع أهداف شعر الأطفال من كونه يتشكّل في قطع أدبية جميلة يحبّها الأطفال، ويتحمّسون لحفظها وترديدها لكونها ملحّنة في أكثرها بأنغام موسيقية بسيطة، تتّسم بالملاءمة مع أوقات الفراغ واللّهو، وداخل حجرات الدّرس وهذه الأهداف تتمازج بين التربية والأخلاق واللّغة نوجز بعضها في الآتي:

– تحسين لغة الطّفل، وسمو تعبيره وأسلوبه، وتعليمه كيف يستعمل البلاغة والتنغيم في

[1]– منيرة صالح: راهن أدب الطّفل في الأردن، ط1، دار غيداء، عمّان، 2011، ص:76.

الصوت والكلام.

– بعث الحمِية والحماسة، وتوفير النّشاط الفنّي للطّفل.

– تحسين النّطق وإخراج الحروف بشكل جيد، وتهذيب السّمع وحسن الإلقاء[1].

– تخليص الطّفل من الخجل والانطواء، والتّردّد والانفعالات الضّارة.

– يعتبر وسيلة من وسائل التّعليم، بما يحويه من مضامين أخلاقية، ووطنية، ودينية...

– الكشف عن المواهب، ومواطن الإبداع كالصّوت الحسن، وفن الالقاء...[2]

5– أنواع شعر الأطفال:

يرى بعض الباحثين أنّ شعر الأطفال بعامة ينقسم إلى ثلاثة أشكال بالنظر إلى نظمه:

أ– شعر مكتوب عن الأطفال: ظاهره يخاطب الأطفال، ولكنه في مضمونه، وعلى مستوى تركيب صوره الشعرية، ولغته، ورموزه، وإيحاءاته، يصعب على الأطفال فهم كنهه ومراميه إلا بتدخل الكبار في صورة المرشدين والمعلمين لتقريب فهمه للأطفال، وأمثلة ذلك كثيرة نمثل له بقول نزار قباني في هذا المقطع من قصيدة(هوامش على دفتر النكسة)[3]:

يا أيّها الأطفال...

من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمالْ

وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغـــــلالْ

ويقتل الأفيون في رؤوسنا

ويقتل الخيـالْ..

يا أيّها الأطفال أنتم – بعدُ – طيّبون

وطاهرون، كالنّدى والثّلج، طاهــرون

لا تقرؤوا عن جيلنا المهزوم، يا أطفال

ب– الشّعر البسيط الذي كتبه الشّعراء الكبار للكبار: وهو في مضمونه وشكله يصلح أن يكون شعرا للأطفال دون قصدية أن يكون لهم؛ حيث لجأ إليه المربّون ومخطّطو المناهج

---

[1]– عيسى الشماس: القصّة الطّفلية في سوريا، (د، ط) منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1996، ص:33.

[2]– عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبدالرحيم الفيصل: أدب الأطفال (د، ط) دار الكندي للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2000، ص:49.

[3]– نزار قبّاني: الأعمال السياسية الكاملة (د، ط) ج3، منشورات نزار قباني، بيروت (د، ت) ص:96.

المدرسية قبل أن يتبلور شعر الأطفال على صورته المعاصرة بأبعاده الفنّية حين كانت ينابيع أدب الأطفال جافة، فأعملوا فيه التّبسيط والشّرح ليناسب الأطفال، على غرار قول الشاعر[1]:

يا بــلادي يا بــلادي كبّــري فالشّعــبُ كبَّرْ
واذكُــري فيــنَا شهيــدًا عانــقَ الأرضَ وحــرَّرْ
دمُــهُ في كــلّ شبْــرٍ يلثِــمُ الأعلامَ أحمــرْ

ج- شعر يحمل خصائص وجماليات الشعر المكتوب للأطفال: كاستخدام الصّورة الشّعرية البسيطة وسهولة الألفاظ وخفّتها، وتوافر عناصر البناء الموسيقي الدّاخلي والخارجي في قولبة موسيقية مجزوءة البحور، مع رسم صورة شعرية جميلة وجذّابة للموضوعات، فضلا عن التّقليل من أفعال الإرشاد والنّصح.

ويتّخذ شعر الأطفال هذا، أشكالا شتّى، جرى عليها العرف لدى شعراء الأطفال، دون النّظر إلى معانيها الاصطلاحية في الأدب عامة، فقد يكون على شكل أغنية أو نشيد، أو أوبريت أو استعراض غنائي، أو مسرحية شعرية، أو شعر قصصي، وغيرها. ويمكن تصنيف هذا النوع من شعر الأطفال حسب الخصائص البنائية إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي:

ج.1- الشعر القصصي:

يتناول في موضوعاته خبرات في شكل قصصي؛ ويجمع بين أسلوب القصة وبين غنائية الشعر وغالبًا ما يهدف إلى بثّ حكمة أو فكرة مكثفة تشمل عبرة، وأكثره يكون على لسان الحيوان؛ لأنه الأقرب إلى نفسيات الأطفال وفهمهم.

ج.2- الشعر التّعليمي(السّردي):

وهو عبارة على صياغات شعرية تتضمّن قصص ومعارف وسير وأخبار تحوي قيم تعليمية؛ وعادة ما يقدّم داخل حجرات الدّرس، ويشير البعض إلى أن معظم توجّهات شعر الأطفال هي توجهات تعليمية أصلا، بهدف إعطاء الطّفل بعض الحقائق أو لونًا من ألوان المعرفة الجديدة، مع الاحتفاظ بقالبه الشعري.

ج.3- الشّعر الدّرامي(المسرحي):

يتناول في موضوعاته الخبرات في شكل شعر للعرض على مسرح الطفل أو المسرح

[1]- جمال الطّاهري: الزهور، ط1، ج3، دار الحضارة، المدية، 1992، ص:04.

المدرسي وعلى وسائط أخرى؛ وتتوافر فيه عناصر المسرحية من فكرة وشخصيات وحوار وعقدة وحل.

ثانيا- أنشودة الأطفال:

1- تعريف الأنشودة: ورد في القاموس المحيط: نَشد الضالة نَشدًا ونِشدَة ونِشدانًا، بكسرهما: طلبها، وعرفها، و___ فلانا: عرفه معرفة، و___ بالله: استحلف، ...وأنشد الضالة: عرّفها، واسترشد عنها، و___ الشعر: قرأه. والنِّشدة بالكسر: الصوت. والنشيد: رفع الصوت، والشعر المتناشد كالأنشودة، ج أناشيد...[1] فالنشيد معناه في اللغة رفع الصوت وهذا يؤكد وظيفته الإشهارية، أي لابد أن يكون مسموعا بالأصوات الرنانة بعيدا عن الأصوات الهامسة حتى تصل إلى الحس.

تتفرد الأنشودة عموما بمقومات شكلية تميزها عن أشكال الشعر الأخرى، كما تتميز ببنائها ودلالتها الخاصة، واستخدام أدوات تعبيرية وتصويرية تعين على الإفضاء بذلك؛ لتكون عارية من الزخارف البيانية صياغة وأسلوبا لتفريقها عن القصيدة والموشح والأغنية.

إن الأنشودة الموجهة للأطفال بسيطة في ألفاظها، سهلة في لحنها، تُنشد لهم قصد تسليتهم، وتنظم على مجزوءات البحور الخفيفة كالرمل والمتدارك والمتقارب التي تتميز بالموسيقى العالية؛ مما يساعد على تلحينها وأدائها جماعيا.

2- أهمية الأنشودة:

تعدّ الأنشودة من أهم الأساليب التربوية المهمة في بناء شخصية الطفل وزيادة معارفه، وتنمية مواهبه؛ لأنه يحس بفعاليته وهو يشارك زملاءه في التغنّي والإنشاد، وبذلك فهي تدفعه إلى الرغبة في التّعلم والإقبال على المدرسة. كما تعود أهميتها للآتي:

- الكشف عن مواهب الأطفال من حيث: الصوت، حسن الإلقاء، التلحين، التوافق مع المجموعة الصوتية، حسن الإصغاء، وتمثيل المعنى.
- إثارة الحماس في نفس الطفل، وإلهاب الروح الدينية والوطنية، والشعور بالانتماء للأسرة والمجتمع؛ لارتباطها بالوعي الجماهيري المقترن بالوطن والدين والتاريخ واللغة.
- وسيلة تعليمية بامتياز؛ لما تحويه من مضامين دينية، أخلاقية، وطنية، واجتماعية.
- تخليص الأطفال من الخجل وعيوب النطق بتشجيعهم على الأداء الجماعي؛ للتغلب على التردد والانطواء، والنطق الفردي.

---

[1]- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط (د، ط) دار الحديث، القاهرة، 2008، ص:1609.

– تنمية الذوق الأدبي لدى الأطفال، بتقدير المعاني والأخيلة والأساليب الأدبية الجميلة.

3– أنواع الأنشودة:

إن أحسن الأناشيد الناجحة هي تلك التي تحقق تقويم سلوك الأطفال، وتربط بين أفكارهم وعواطفهم؛ وتؤدي دورها المهم في التربية عموما؛ لذلك تعدّدت حسب أغراضها، وموضوعاتها وفق الآتي:

أ– الأنشودة الدينية:

وهي الأنشودة التي تتضمن القيم الروحية والعقدية، والحقوق والواجبات، ويمتاح فيها الشاعر من فيض القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، من أجل الاهتمام "بتأصيل القيم الروحية في نفوس الأطفال، وغرس الفضائل الحميدة، والأخلاق النبيلة، وتهذيب الطباع، وتعديل السلوك، وتعميق معنى الإيمان، وتأكيد مبدأ الوحدانية، وتقريب فكرة الألوهية إلى عقول الأطفال بصورة مبسطة"[1]

ب– الأنشودة الوطنية:

وهي الأنشودة التي تثير في نفوس الأطفال الحماس والتفاعل دفاعا عن الوطن، ويعمد فيها الشاعر إلى تعميق فكرة الانتماء إلى الوطن عند الأطفال، وغرس حبه في نفوسهم، والعمل على ازدهاره وتقدمه، والتركيز على أمجاده وفضائله.

ج– الأنشودة الاجتماعية:

وهي الأنشودة التي ترتبط في مضامينها بالقضايا والظواهر الاجتماعية كظاهرة الأمومة، والأبوة، والأخوة، والعادات والتقاليد السائدة في ثقافة المجتمع، وتكمن عبقرية الشاعر في إيضاح علاقة الطفل بمجتمعه وتركيباته وأطيافه.

د– الأنشودة التعليمية:

وهي الأنشودة التي تهتم في مضمونها بعالم الطفل المدرسي، وبكل ما يتصل بتعليمه من مهارات لغوية ووسائل تربوية، وعناصر معرفية، تدفع الطفل إلى التعلق بالمدرسة وحبّها، ودور الشاعر هنا هو تصوير الحقائق وتحويلها إلى لوحات غنائية نابضة بالحياة.

هـ– الأنشودة الوصفية:

وهي الأنشودة التي تصف مظاهر الطبيعة؛ لارتباط هذه الأخيرة بالإنسان منذ الأزل، وهي الفضاء الذي ساهم في بقاء الإنسان والحفاظ على نوعه، شأنه كل الكائنات. وشاعر

[1]– العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، دراسة، ط1، موفيم للنشر، الجزائر، 2008، ص:185.

الأطفال عليه أن يتأمل في سر الطبيعة، ويغذي عواطف الأطفال من مآثر فصولها، وإضفاء الحياة على عالم الحيوان والنبات؛ لمشاركة الطفل أحواله وفرحا وحتى آلامه، باستعمال الصور الجمالية والأساليب الشاقة. ثم دعوتهم إلى الحفاظ على البيئة الطبيعية.

و- الأنشودة الترفيهية:

وهدف هذه الأنشودة هو إدخال البهجة والسرور والفرح والمرح، والتسلية والامتاع على نفوس الأطفال، وصولا إلى سعادتهم، والأنشودة الترفيهية قد تتضمن مضامين الأنواع السابقة في قالب فكاهي يتمثل فيه الشاعر الأداء الموسيقي الآسر لكل مرحلة طفلية.

ثالثا- الفرق بين الأنشودة والقصيدة في شعر الأطفال:

للأنشودة في شكلها ومضمونها نقاط فارقة بينها وبين القصيدة الموجهة للأطفال، نوردها في الآتي:

- يتوجه الشاعر بالأنشودة إلى الجماعة (الأطفال)، ويتوجه بالقصيدة إلى الفرد (الطفل).
- الطفل في الأنشودة يكون منشدا أو مستمعا، بينما في القصيدة يكون قارئا أو مفسرا وشارحا لها.
- تمتاز الأنشودة بالبساطة في معانيها وتراكيبها، بينما القصيدة تتميز بقوة التراكيب وعمق المعاني.
- تنظم الأنشودة على البحور الصافية الخفيفة، أو المجزوءة كالرمل والمتقارب والمتدارك، أما القصيدة فيستعمل فيها الشاعر كل البحور وبخاصة الطويلة منها كالطويل والمديد والوافر والكامل.
- الأنشودة لا يلتزم الشاعر في نظمها شكلا معينا، فقد تتعدد أوزانها وقوافيها في الأنشودة الواحدة، ويتمظهر التكرار فيها بشكل لافت، والقصيدة يلتزم فيها الشاعر شكل البحر الذي يكتب عليه وزنا وقافية.
- الأنشودة موضوعاتها ضيقة: دينية، وطنية، اجتماعية، تاريخية. والقصيدة موضوعاتها غير محصورة.
- القضايا المعالجة في الأنشودة بسيطة، وتنأى عن الفلسفة والمنطق، ولا تتقيد بوحدة الموضوع. في حين القصيدة مركبة في موضوعاتها، وقد تحمل موضوعات فلسفية ومنطقية.
- الأنشودة تعبّر في عمومها عن روح الجماعة وذات نزعة تربوية تعليمية. أما القصيدة فتعبّر عن الذات والموقف، وذات نزعة فنّية جمالية؛ لكنها تتقيد بوحدة الموضوع.